@ 855 @ من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير * ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنآ إنك أنت العزيز الحكيم * لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو ا والـيوم الآخر ومن يتول فإن ا هو الغني الحميد * عسى ا أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وا قدير وا غفور رحيم * لا ينهاكم ا عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن ا يحب المقسطين * إنما ينهاكم ا عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأول ئك هم الظالمون) ^ ذكر كثير من المفسرين ، رحمهم ا ، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة ، حين غزا النبي صلى ا عليه وسلم غزاة الفتح . فكتب حاطب إلى المشركين من أهل مكة ، يخبرهم بمسير رسول ا صلى ا عليه وسلم إليهم ، ليتخذ بذلك يدا عندهم ، لا شكا ونفاقا ، وأرسله مع امرأة . فأخبر النبي صلى ا عليه وسلم بشأنه ، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب . وعاتب حاطبا ، فاعتذر بعذر ، قبله النبي صلى ا عليه وسلم . وهذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاة الكفار من المشركين وغيرهم ، وإلقاء المودة إليهم ، وأن ذلك مناف للإيمان ، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو ، والذي لا يبقى من مجهوده في العداوة شيئا ، وينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه ، فقال تعالى : ^ (يا أيها الذين آمنوا) ^ ، أي : اعملوا بمقتضى إيمانكم ، من ولاية من قام بالإيمان ، ومعاداة من عاداه ، فإنه عدو ، وعدو للمؤمنين . ^ (لا تتخذوا عدوي) ! 2 2 ! (وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) ^ ، أي : تسارعون في مودتهم ، والسعي في أسبابها ، فإن المودة إذا حصلت ، تبعتها النصرة والموالاة ، فخرج العبد من الإيمان ، وصار من جملة أهل الكفران . وهذا المتخذ للكافر وليا ، عادم المروءة أيضا ، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه ، الذي لا يريد له إلا الشر ، ويخالف ربه ووليه ، الذي يريد به الخير ، ويأمره به ، ويحثه عليه ؟ ومما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار ، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق ، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاقة ، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم ، وزعموا أنكم ضلال ، على غير هدى . والحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، ومن رد الحق ، فمحال أن يوجد له دليل أو حجة ، تدل على صحة قوله ، بل مجرد العلم بالحق ، يدل على بطلان قول من رده وفساده . ومن عداوتهم البليغة أنهم ^ (يخرجون الرسول وإياكم) ^ أيها المؤمنون من دياركم ، ويشردونكم من أوطانكم . ولا ذنب لكم في

ذلك عندهم ، إلا ^ (أن تؤمنوا باﷲ ربكم) ^ الذي يتعين على الخلق كلهم ، القيام بعبوديته ، لأنه رباهم ، وأنعم عليهم ، بالنعم الظاهرة والباطنة . فلما أعرضوا عن هذا الأمر ، الذي هو أوجب الواجبات ، وقمتم به ، عادوكم ، وأخرجوكم من أجله من دياركم . فأي دين ، وأي مروءة وعقل ، يبقى مع العبد إذا والى الكفار ، الذين هذا وصفهم ، في كل زمان أو مكان ؟ ولا يمنعهم منه إلا خوف ، أو مانع قوي . ^ (إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) ^ ، أي : إن كان خروجكم ، مقصودكم به الجهاد في سبيل اﷲ ، لإعلاء كلمة اﷲ ، وابتغاء رضاه ، فاعملوا بمقتضى هذا ، من موالاة أولياء اﷲ ، ومعاداة أعدائه ، فإن هذا من أعظم الجهاد في سبيله ، ومن أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى اﷲ ، ويتبغون به رضاه . ^ (تسرون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) ^ ، أي : كيف تسرون المودة للكافرين ، وتخفونها ، مع علمكم أن اﷲ عالم بما تخفون ، وما تعلنون ؟ ، فهو وإن خفي على المؤمنين ، فلا يخفى على اﷲ تعالى ، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم ، من الخير والشر . ^ (ومن يفعله منكم) ^ ، أي : موالاة الكافرين بعدما حذركم اﷲ منها ^ (فقد ضل سواء السبيل) ^ ، لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع وللعقل ، والمروءة الإنسانية . ثم بين تعالى شدة عداوتهم ، تهييجا للمؤمنين على عداوتهم ، فقال : ^ (إن يثقفوكم) ^ ، أي : يجدوكم ، وتسنح لهم الفرصة في أذاكم . ^ (يكونوا لكم